رسالة الفصح ٢٠٢٦

المتروبوليت جوزيف، رئيس أساقفة أوروبا الغربيّة في الكنيسة الرومانيّة

أيّها الإخوة والأخوات المحبوبون بالربّ،

المسيح قام!

إنّ أساس إيماننا المسيحيّ ليس مجرّد فكرة، ولا منظومة أخلاقيّة، ولا مجرّد تقليدٍ بسيط، بل هو حقيقةٌ واقعة: قيامة ربّنا يسوع المسيح. ويخبرنا الرسول بولس بذلك جليًّا بقوله: "وَإِنْ لَمْ يَكُنِ الْمَسِيحُ قَدْ قَامَ، فَبَاطِلَةٌ كِرَازَتُنَا وَبَاطِلٌ أَيْضًا إِيمَانُكُمْ" (1 كورنثوس 15: 14). لكنَّ المسيح قد قام! وهذه الحقيقة لا تُغيّر التاريخ فحسب، بل تُغيّر أيضًا حياة كلّ شخصٍ منّا. فالقيامة ليست مجرّد حدثٍ جرى في الماضي، بل هي بدءُ حياةٍ جديدة. وبوساطتها، لا يكتفي الله بإعلان قدرته لنا، بل يفتح لنا الطريق نحو هذه الحياة الجديدة التي لا يفرضها علينا بل يقترحها: "إِذًا إِنْ كَانَ أَحَدٌ فِي الْمَسِيحِ فَهُوَ خَلِيقَةٌ جَدِيدَةٌ: الأَشْيَاءُ الْقَدِيمَةُ قَدْ مَضَتْ، هُوَذَا الْكُلُّ قَدْ صَارَ جَدِيدًا" (2 كورنثوس 5: 17).

إنّنا نعيش في ظلِّ الخوف من الموت، ربّما من دون أن ندرك ذلك بسبب النسيان. وترتبط كلُّ مخاوفنا وقلقنا وصراعاتنا الداخليّة، في جوهرها، بهذا الخوف. غير أنَّ قيامة المسيح تأتي لتُجيبَ تحديدًا عن هذا الخوف الجوهريّ. يقول الربُّ: "أَنَا هُوَ الْقِيَامَةُ وَالْحَيَاةُ. مَنْ آمَنَ بِي وَلَوْ مَاتَ فَسَيَحْيَا" (يوحنّا 11: 25). وبذلك، ما عادَ الموت جدارًا بل بابًا؛ ما عادَ نهايةً بل عبورًا، إنّه فصحنا. يُعبّر القدّيس يوحنّا الذهبيّ الفم عن هذه الحقيقة بقوّةٍ فريدةٍ قائلًا: "لا يخشينَّ أحدٌ الموت، لأنّ موتَ المخلّص قد أعتقنا منه". في ضوء القيامة، لم يعُد الموت متسلِّطًا، بل صار مغلوبًا.

إلّا أنّ القيامة لا تتعلّق بنهاية حياتنا فحسب، بل بالحاضر أيضًا. فهي تبدأ منذ الآن، في قلوبنا. كم مرّةً رزحنا تحت وطأة الصعوبات والخطايا والإخفاقات؟ وكم مرّةً شعرنا بأنّنا لم نعُدْ قادرين على المضيِّ قدُمًا؟ هنا تُصبح القيامة حقيقةً حيّة، لأنّ الله يُقيمنا. يقول القدّيس أثناسيوس الكبير: "صارَ الله إنسانًا لكي نصير نحن آلهة"[1] بالنعمة. وهذا يعني أنّنا مدعوّون إلى تغيير حياتنا، أي إلى التجدُّد والاستنارة والتجلّي. لقد جعل الربُّ هذا التجديد في مقدورنا، بوساطة الرُّسل ثمّ بوساطة الأساقفة والكاهن، وهو تجديدٌ يصبح حقيقيًّا وفعّالًا بغفران

[1] Sur l'Incarnation du Verbe, chap. 9, SC 199, Paris, Cerf 1973, p. 459.

الخطايا في سرِّ الاعتراف، مع سرِّ الاشتراك في جسد المسيح ودمه؛ فبهذه العطايا، نصبح مشاركين في قيامته وفي محبّته لنا، تلك المحبّة التي بلغَتْ حدَّ الصَّلب والموت، والتي بها يُجدّدنا باستمرار.

إنّ القيامة هي حقًّا أساسٌ لحياةٍ جديدة، حياة لا يعيش فيها الإنسان لنفسِه، بل في شركةٍ مع الله ومع أخيه الإنسان.

أيُّها المؤمنون الأحبّاء،

على الرَّغم ممَّا ذكرتُه، غالبًا ما لا نعيش هذه الحقيقة. نتصرّف وكأنّ المسيح لم يقُم، ونغرق في الخوف واليأس والهموم. يقدّم لنا الإنجيل مشهدًا معبِّرًا جدًّا هو مشهد التلميذين لوقا وكليوبا اللذين كانا يتوجّهان نحو عمواس حزينين وخائبَي الآمال، وإلى جانبهما كان المسيح، لكنّهما لم يعرفاه (لوقا 24: 13-35). يعكس هذا المشهد الحالة التي غالبًا ما نجد أنفسَنا فيها، ونبقى فيها أحيانًا عن عمد، لأنّنا أحيانًا لا نريد أن نراه أو نستقبله أو نفهمه. المسيح حاضرٌ في حياتنا، لكنَّ عيوننا مُغمضة.

لماذا لا نراه؟ لأنّ تطلُّعاتنا خاطئة. نحن نريد إلهًا على مقاسنا، وليس بحسب حقيقته. يقول القدّيس غريغوريوس النزينزيّ إنّ الله يستعلن "على قدر نقاوتنا"[2]. بعبارةٍ أخرى، ليست المشكلة في أنّ الله لا يكشف نفسه، بل في أنّنا لسنا مستعدّين لرؤيته. ولهذا السبب نحن بحاجةٍ إلى الاستنارة. وهذه الاستنارة تأتي من خلال كلمة الله التي ينبغي لنا أن نواظب عليها بقراءة الإنجيل. يقول لنا القدّيس سمعان اللاهوتيّ الحديث: "الكتاب المقدّس هو الباب، أمّا المفتاح فهو أيضًا الكتاب المقدَّس"[3]. بقراءة الكتاب المقدَّس وعيشه، يبدأ قلبُنا بالاشتعال، تمامًا كما اشتعلَ قلبا التلميذَين على طريق عمواس.

إخوتي وأخواتي الأحبّاء،

إنّ العالم الذي نعيش فيه يفرض علينا منطقًا مختلفًا تمامًا: منطق الخوف، والقوّة، والمنافسة. إنَّه عالمٌ يُعرَّف فيه الإنسان غالبًا بما يملك، وليس بما هو عليه. إلّا أنّ المسيح يُرينا سبيلًا آخر. لا ينتصر بالقوّة بل بالمحبّة. لا يتسلّط بل يبذل نفسه.

لقد خصَّصتْ كنيستُنا العامَ الحاليّ لموضوع العائلة، بهدف تعميق المكانة التي يوليها الله لها في الكنيسة والمجتمع. تواجه العائلة اليوم اختباراتٍ قاسيةً من كلّ جانب، لا سيّما من الداخل، من خلال الضعفات التي تظهر بتزايدٍ في داخلها، لدى الزَّوجين ثمّ الأطفال، مثل: الأنانيّة، والرغبة في التسلُّط، والسَّطحيّة في التربية،

[2] Discours 27, Sur la théologie, 3, SC 250, Cerf, Paris, 1978.
[3] Catéchèses I, SC 96, Cerf, Paris, 2006.

وفقدان المعنى، وغالبًا ضعف المحبّة بين الزَّوجين، والخوف من الالتزام الطويل الأمد في الحياة الأسريّة لدى مَن يتردّدون في الزواج ونيل هذا السرّ في الكنيسة، وأمور أخرى كثيرة.

يقول القدّيس مكسيموس المعترف إنّ المحبّة هي القوّة التي توُحِّدُ الأشياء كلَّها. ويُشركنا الربُّ المسيح في هذه المحبّة لأنّها تصبح على الصليب مرئيّةً ومفهومة، ثمّ تتحقّق في القيامة، وتُمنَح لنا بحُلول الروح القدس الذي يكشف لنا كلَّ الأسرار المتعلِّقة بالمسيح ويعلِّمنا إيّاها. في ضوء القيامة، وبعمل الروح القدس في قلوبنا، نفهم عندما ننظر نحو المسيح أنَّ القوَّة الحقيقيَّة ليست في التسلُّط، بل في بذل الذات. ليست في الأنانيّة، بل في المحبّة. ليست في محبَّة القوَّة، بل في قوَّة المحبَّة.

إنَّ قيامة المسيح هي أساسُ الحياة الجديدة لأنَّ الروح القدس نفسَه، الذي يشهد للمسيح ويعلِّمنا كلَّ شيءٍ (يوحنّا 15: 26)، يقدّم لنا رؤيةً أخرى في ما يتعلَّق بالعالم وبمشيئة الله لكلّ إنسان، هذه المشيئة التي أعلَنها في ابنه. نحن لا نعيش بعدُ من أجل هذا العالم وحده، بل من أجل ملكوت الله. "فَإِنَّ سِيرَتَنَا نَحْنُ هِيَ فِي السَّمَاوَاتِ" كما يقول الرسول بولس (فيلبّي 3: 20). وهذا لا يعني أنّنا نهرب من العالم، بل أنّنا نعيش فيه بطريقةٍ أخرى، وتحت نورٍ آخر. وهذا يعني أنّنا نستطيع أن نُسامح حتّى عندما يكون ذلك صعبًا علينا؛ ونستطيع أن نحبّ حتّى عندما لا نكون محبوبين؛ ونستطيع أن نتمسّك بالرجاء حتّى في وسط الألم. وذلك لأنّنا نعلم أنَّ الكلمة الأخيرة ليست للموت. "آخِرُ عَدُوٍّ يُبْطَلُ هُوَ الْمَوْتُ" (1 كورنثوس 15: 26). هذا هو إيماننا، وهذه هي قوَّتنا.

أيُّها المؤمنون الأحبَّاء،

لسنا مدعوّين فقط إلى أن نقول: "المسيح قام"، بل إلى أن نُظهِر أيضًا، بحياتنا، أنَّ المسيحَ حيٌّ. فلنُصبحْ أبناء القيامة، أي أبناء النور والسلام -حتّى وإن قرعت الحروبُ أبوابنا- وأبناء الغفران والمحبّة. فلندَعْ نورَ القيامة يخترق نفوسَنا. فمن خلال أسرار الكنيسة، وبخاصّةٍ الاعتراف والاشتراك في جسد الربّ ودمه الذي هو فصحنا الحقيقيّ، يأتي هذا النور ليَشفي جراحَنا، وينهضنا من سقطاتنا، ويعطينا القوّة لنستأنف من دون انقطاعٍ ولا كللٍ الطريقَ الذي رسمه المسيح، والذي يؤدّي إلى الخلاص.

عندئذٍ، ستصبح حياتنا كلُّها شهادة، شهادة بأنَّ الموت قد هُزِم، والظُّلمات قد اضمحلَّت، والمسيح حيٌّ! وإذ نتسلَّح بهذا الإيمان وهذا الابتهاج وهذا الرجاء، فلنعترفْ من كلِّ قلوبنا بالحقيقة المُخلِّصة: المسيح قام! حقًّا قام!

خادمكم والمتشفّع لكم لدى المسيح القائم من بين الأموات،

جوزيف

رئيس أساقفة أوروبا الغربيّة ومتروبوليت أوروبا الغربيّة والجنوبيّة في الكنيسة الرومانيّة

نقلتها إلى العربيّة أسرة التراث الأرثوذكسيّ

Source: Métropolite Joseph Pop (2026), *Lettre pastorale pour la Fête de Pâques 2026,* Métropole Orthodoxe Roumaine d'Europe Occidentale et Méridionale, Paris, France. Retrieved online from: Mitropolia.eu.